هوامش

لعقود طويلة كانت منطقة عين التمر تعتبر مقصداً للسياح من داخل العراق وخارجه، لكن الاجتياح العراقي ثمّ الأحداث التي تعاقبت على البلاد جعلت المنطقة مهملة تماماً

كانت المنطقة مقصداً للسياح (العربي الجديد)

عين التمر

عاصفة الإهمال تهب على عروس الصحراء العراقية

كربلاء ـ **وليد الصالحي**

على حافة الصحراء الغربية لمدينة كربلاء المحاذية لمحافظة الأنبار تقع منطقة عين التمر: واحة خضراء تزدحم فيها عيون المياه. عيون ساعدت هذه المنطقة القاحلة على البقاء والصمود لقرون طويلة، وقد شكّلت عبر التاريخ استراحة مهمة للقوافل العابرة من العراق إلى الجزيرة العربية والشام وبالعكس. يقطن منطقة عين التمر، التي تبعد عن كربلاء نحو 70 كيلومتراً، ما يقارب 30 ألف نسمة، ويقول مؤرخون إن وجودها أقدم من عشرات المدن العراقية الأخرى الناشئة، وفيها عثر على أرقام وألواح تعود لفترات ما قبل الميلاد. سميت البلدة بـ«عين التمر» بسبب تعدد أنواع وصنوف النخيل فيها، إذ يعتبر بعضها نادراً، مثل التمر الأحمر العسلي، والتمر المائل للخضرة، وتمر البرحي.

وتضم المنطقة عدداً من القصور التاريخية القديمة، مثل قصر العين، وقصر الجردان، وقصر البهوي، وهي عبارة عن بيوت ضخمة مبنية من الصخور الموجودة في بيئة المنطقة ذاتها، وبسقوف من جذوع النخل المطلي بالقار، إلى جانب قصور ومبانٍ تاريخية موجودة عند مدخل بداية المنطقة، أبرزها قصر شمعون، الذي يقع في الجزء الشمالي الشرقي من البلدة، إضافة إلى موقع لكنيسة تاريخية تعود إلى القرن الخامس الميلادي، وعلى مقربة منها أيضا الحصون العسكرية الإسلامية، وتدعى حصن الاخيضر. وقد نسب إلى عين التمر عدد من أعلام العراق القديم، مثل الحسن البصري، وأبو العتاهية، وابن سيرين، وفيها وقعت أبرز معارك العرب المسلمين ضد الفرس الساسانيين سنة 633. وتعرف البلدة أيضاً باسم «شثاثة»، وتعني باللغة الآرامية الرائقة أو الصافية، وتلفظ أيضاً «شفافا».

في السنوات الأخيرة عانت البلدة من الإهمال، إذ إن تراجع الاهتمام الحكومي بالمواقع السياحية وتوقف الدعم المخصص لرعايتها انعكس سلباً على المنطقة التي تراجعت نسب السياح الوافدين إليها بأكثر من 80 في المائة، وفق ما يقول مسؤولون محليون لـ«العربي الجديد». يؤكد أستاذ التاريخ العراقي القديم مرتضى جبار أنّ عين التمر كانت محطة مهمة في تاريخ العراق القديم منذ آلاف السنين، وسر وجودها هو عيون المياه التي لا تنضب فيها، ووقوعها على مفترق طرق حضارات مهمة في العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية. ويتوقّع أن تشهد المنطقة اكتشافات تاريخية مهمة في حال دخلت إليها فرق التنقيب والبحث. إذ كانت آخر الفرق الداخلة إليها في نهاية السبعينيات من القرن الماضي، وقد اكتشف العلماء وقتها عدداً من المواقع الأثرية المهمة.

من جانبه، يقول ماجد الخياط، وهو خبير سياحي عراقي، إن منطقة عين التمر مصنفة داخل العراق على أنها من المحميات الطبيعية والبيئية، لكن عملياً لا اهتمام رسمياً بها. ويضيف أنه إلى جانب عيون الماء هناك عيون كبريت تستخدم لأغراض علاجية للأمراض الجلدية، وهناك أعشاب ونباتات مهمة تستخدم أيضا في أغراض مختلفة، لكن ما زال الإهمال يعصف بالمنطقة منذ سنوات، مبيناً لـ«العربي الجديد»، أنه «بسبب الإهمال صار الناس يبتعدون عنها لانعدام المرافق الخدمية وأماكن الاستراحة والسكن السياحي فيها».

ويقول قائمقام البلدة رائد المشهداني، لـ«العربي الجديد»، إن السلطات في كربلاء قررت إعادة العمل على تأهيل المنطقة ككل، وخاصة ينابيع العيون التي تأثرت كثيراً بانخفاض مناسيب المياه الجوفية وعوامل طبيعية مختلفة، مبيناً أن المنطقة ورغم كل الإهمال ما زالت تشهد توافدا للسياح العراقيين إليها.

عصام مدلول (67 عاماً)، وهو أحد سكان عين التمر، تحدث لـ«العربي الجديد»، عما وصفه بـ«معارك المدينة للبقاء»، شارحاً أن الإهمال وتراجع الاهتمام دفع بالكثير من السكان إلى مغادرتها والاتجاه إلى النجف وكربلاء بحثاً عن العمل أو طمعاً بخدمات أفضل. ويضيف «المدينة قبل الغزو الأميركي للعراق عام 2003 كانت عامرة وعيون المياه تتفجر فيها والنخيل مثمر والنباتات لا تحتاج لسقي والهواء العذب يلف المنطقة، ما جعل السياح يتوافدون إليها «لكن اليوم تغيرت الصورة كثيراً، وحتى العيون جفت كثيراً من دون معرفة سبب ذلك».

ويطالب مدلول بالالتفات إلى مدينته «خاصة مسألة تعبيد الطرق الصحراوية الواصلة إليها من كربلاء والأنبار وتوفير مشاريع خدماتية، وبذلك سيكون هناك أمل بعودة السياح إلى المنطقة وتشغيل الأيدي العاملة من السكان المحليين، خصوصاً الشباب الذين يعانون من عدم توفر العمل بسبب الشلل الذي أصاب الحركة السياحية منذ سنوات».

باختصار

ساعدت عيون المياه المنطقة على البقاء والصمود لقرون طويلة، وقد شكّلت عبر التاريخ استراحة مهمة للقوافل العابرة من العراق إلى الجزيرة العربية والشام وبالعكس

■■■

تضم المنطقة عدداً من القصور التاريخية القديمة، مثل قصر العين، وقصر الجردان، وقصر البهوي، وهي عبارة عن بيوت ضخمة مبنية من الصخور

■■■

الإهمال وتراجع الاهتمام دفعا بالكثير من السكان إلى مغادرتها والاتجاه إلى النجف وكربلاء بحثاً عن العمل أو طمعاً بخدمات أفضل

وأخيراً

الطريق إلى المدرسة

سما حسن

يقول الكاتب الألماني، هاينريش بول، «لقد علمني الطريق إلى المدرسة أكثر مما علمتني المدرسة». ويبدو أن كل من يقع على هذه المقولة يكتشف أنها تنطبق عليه. تنطبق على ذكرياته بالتأكيد، وعلى وجه الخصوص، هناك حيث كنتَ طفلاً صغيراً، وكنتَ تخطو أولى خطواتك في الحياة. وحيث ظنّ الجميع من حولك أنك لا تفهم شيئاً، وكل ما عليك أن ترتدي الزي المدرسي الذي غالباً ما كان مقلّماً بلونين، أحدهما قاتم، والآخر هو اللون الأبيض، ثم تعلّق حقيبتك خلف ظهرك، وتنطلق نحو المدرسة لتتعلم مبادئ القراءة والكتابة، من دون أن تناقش أحداً في ما تحب أو تكره، أو أنك تكتشف، منذ الأيام الأولى، لذهابك إلى المدرسة، أن عليك أن تبدو كبيراً كما يريدون، وقوياً كما يأملون، وليس عليك الشكوى، بل عليك أن تتحمّل لأنك باختصار في طريقك إلى المدرسة.

في الطريق إلى المدرسة، تعلمت أشياء كثيرة، ربما أولها وأصعبها الطريق من أطراف المدينة إلى المدرسة، ومرورك بمخيم اللاجئين، حيث الفقر والبؤس ووجع اللجوء الذي ظل حاضراً في دورات المياه المتناثرة في الشوارع والروائح الكريهة التي تنبعث من بين الأزقة بسبب ذلك، وذلك الطريق الذي كنت تقطعه كل يوم ذهاباً وإياباً كان يروي لك، باختصار، حكاية لجوء ولاجئ، ولم يكن عليك سوى أن تضع حسراتك في قلبك وتمضي.

في الطريق إلى المدرسة، اكتشفت معنى التنمّر. هذا المصطلح عرفته متأخراً جداً، بعد أن أصبحت المؤسسات الإنسانية تنادي بضرورة حماية طلاب المدارس منه. ولم أكن أعرف أنّ ما أمرّ به ليس سوى صورة من البلطجة، أو هو حقد موغل، ترك آثاره في نفسي، فمصروفي كان كبيراً بالنسبة إلى تلميذاتٍ فقيراتٍ قادمات من المخيم. وكنت أدّخره حتى يدقّ جرس المدرسة المعلن لانتهاء الدوام، فتومئ لي رفيقة طريق بأن نعرّج على محل بقالة صغير، يقع إلى جوار المدرسة، لكي نبتاع الكثير من البسكويت الطري الذي كنا نمضي الطريق كله، ونحن نهرسه تحت أسناننا، حتى نصل إلى بيوتنا، وكنا نمدّ أيدينا ببعض القطع لرفيقاتٍ صغيراتٍ يسلكن الطريق نفسه. وقد ظلّ الأمر كذلك، حتى أصبحت تظهر من بيت صغير متآكل بجوار محل البقالة فتاة طويلة بملامح صفراء وشعر منكوش، فتقطع عليّ الطريق بصفتي حاملة الكنز الشهي، وتطلب مني، بلهجة آمرة مهدّدة، أن أترك كل قطع البسكويت لها ولصغار كثر حولها، فأفعل من دون تردّد، وحين تنهال دموعي، فهي التي تسمح لي بأن أحصل على قطعتين لا أكثر، لكي أستمرّ في طريق عودتي إلى البيت، ولا أتأخر.

كم مرّ من الوقت، وأنا أعاني من كابوس ليلي، تزورني به هذه الفتاة الطويلة النحيلة، منكوشة الشعر، ذات البشرة الصفراء الشاحبة التي تُنبئ بسوء تغذيةٍ

> يبدو أن طريق المدرسة يجب أن نفكّر فيه ونحدّده ونراقبه لأطفالنا. هذا نكتشفه بعد أن يمرّ العمر بذكرياتٍ

متأصل، وكم كتمت ما أعانيه، ولم أخبر به أحداً من الكبار، الكبار الذين كنت أعتقد أنهم ليسوا قادرين على حمايتي من هذه المتنمّرة لسبب بسيط، أنهم لا يسلكون الطريق نفسه الذي أسلكه كل يوم في ذهابي وإيابي من مدرستي الابتدائية.

مرّت سنوات، وانتقلتُ من المدرسة الابتدائية، وتعلّمت دروساً كثيرة، أهمها أن الكوابيس التي تزورني، وما كنت أتعرّض له من تنمّر لم يمنعا أن أكون تلميذة متفوقة، لكن المدرسة الإعدادية حملت لي قصصاً مختلفة لفتياتٍ مراهقاتٍ بالكاد تبرز معالم أنوثتهن، وينتظرهن الفتية أمام باب المدرسة الذين تظهر شواربهم مثل خيوطٍ من النمل الصغير بالطبع.

يبدو أن طريق المدرسة يجب أن نفكّر فيه ونحدّده ونراقبه لأطفالنا. هذا نكتشفه بعد أن يمرّ العمر بذكرياتٍ ومعاناة مع بدء العام الدراسي في بلاد عربية كثيرة. ويبدو أن على المعلمين أن يمزّقوا دفاتر التحضير فعلاً، وألّا يسيروا على خطط سابقة في التعليم. عليهم أن يتركوا كل شيء للتلميذ الصغير، لكي يحدّد أين يسير به طريق العلم ومن أين يبدأ، فربما كان يبدأ فعلاً من باب البيت حتى يصل إلى المدرسة.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**